**قديما قالوا فى الاتحاد قوة**

|  |  |
| --- | --- |
| |  | | --- | | **تأليف / آندى حجازى**  **قديما قالوا: «في الاتحاد قوة، وفي التفرق ضعف»، ومنذ أن كنا صغارا ونحن نسمع هذا المثل، وأغلبنا علم قصته؛ عندما كان أحد الآباء الحكماء يحتضر، فدعا أبناءه كلهم، وأعطى كل واحد منهم عصا، وقال له أن يكسرها، فكسرها بكل سهولة. ثم أعطى كل واحد منهم مجموعة من العصي (حزمة منها)، وطلب من كل واحد منهم أن يجرب كسرها بنفسه، فلم يستطع أحد كسرها كحزمة، فقال لهم: «وهكذا أنتم يا أبنائي، إن تفرقتم فستضعفون، وإن اجتمعتم وبقيتم يدا واحدة فستبقون أقوياء لا أحد يقدر أن يسلبكم حقوقكم، فاحرصوا على أن تبقوا متحدين حتى يهابكم الآخرون، ولا يطمع فيكم أعداؤكم أو من يتربص بكم».  وأيضا أغلبنا سمع وهو صغير قصة الثيران الثلاثة (الأبيض والأسود والأحمر)، التي كانت متحدة فلم يستطع الذئب النيل منها، ولكنها عندما افترقت وذهب كل منها في اتجاه، سهل القضاء عليها، فافترس الذئب بداية الثور الأبيض، ولم يأبه لذلك الثوران الآخران، ولم يدركا -حينها- أنهما بدآ يضعفان بتفرقهم، حتى أكل الذئب الثور الأسود، فحينها أدرك الثور الأحمر أن الدور سيأتي عليه، وندم حيث لا ينفع الندم وعندئذ قال المثل المشهور: «أكلت يوم أكل الثور الأبيض»، وبالفعل هذا ما حدث.  من منا لم يسمع هذه القصص ويتعلمها في المدرسة منذ أن كنا صغارا؟! ولكننا في الحقيقة لم ندرك مغزاها الحقيقي وهدفها العميق ومدى أهميتها إلا في زمننا الحالي، حينما وقعت الكوارث والخسائر الجسيمة بتفرقنا العربي.  ما أهمية الاتحاد والتعاون العربي؟  إن الاتحاد الذي نحتاج إليه هو ما يجعلنا أقوياء بالفعل في عالم لا يعرف إلا القوة ومنطقها. فالاتحاد معناه توحد في القوى والخطط والأهداف والرؤى والموارد والمعارف والقيم والطاقات والإمكانات بأنواعها: الاقتصادية، والاجتماعية، والعلمية، والبشرية، والدينية، والإنتاجية. فنحن نحتاج إلى الوحدة في الأفكار الوطنية، وفي المشاريع الاستثمارية، وفي التصدير والاستيراد، وفي التصنيع والاستهلاك، وفي فرص العمل وتوزيع الطاقة البشرية العاملة، وفي مواجهة المشكلات العربية التي تعصف بنا، قال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى  وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ  وَاتَّقُوا اللَّهَ  إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } (المائدة:2). فالعالم ينظر إلينا - كعالم عربي مسلم - على أننا جسم واحد مشترك، ويعاملنا على هذا الأساس. لكن واقعنا العربي لا يتوافق مع هذه الرؤية للأسف.  ما نحتاج إليه هو التعاون بين دولنا العربية، فالوحدة والتعاون يؤديان إلى التكامل، وإلى إنتاج الأفضل، وإلى احترام الآخر وتقدير جوانب قوته؛ وينميان الانتماء والشعور بالمواطنة، حيث بالتعاون نستغل كل الموارد المتاحة، وتكتمل النواقص، ونوفر المال، ونقلل البطالة، ونزيد من فرص العمل، وقد قال رسول الله  " صلى الله عليه وسلم" : «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (رواه البخاري ومسلم). وفيه تعظيم حقوق المسلمين، والحض على تعاونهم وتعاطف بعضهم مع بعض.. قال  " صلى الله عليه وسلم" :«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»، وشبك النبي  " صلى الله عليه وسلم"  بين أصابعه (رواه البخاري).  رسول الله وبناء الوحدة الإسلامية  أدرك رسول الله  " صلى الله عليه وسلم"  أهمية اللحمة والتوحد في المجتمع الإسلامي فكانت أول خطوة بدأ بها، بعد الهجرة النبوية المباركة للمدينة المنورة، هي بناء المسجد؛ لاجتماع المسلمين واتفاق كلمتهم، ثم المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، والتي كانت على أساس العقيدة ووحدة الديانة (وليس وحدة اللون أو اللغة)، فما فائدة هاتين الخطوتين (بناء المسجد والمؤاخاة)؟ هل كانتا من أجل التسلية والترفيه، أم من أجل المعونة على صعوبات الحياة فقط؟ بل كانتا من أجل توحيد الصف واجتماع الأمة، فإن توحدت كلمتها قويت شوكتها وهابها أعداؤها، وإن تفرقت وعاش أبناؤها مختلفين مشتتين ضعفت قوتهم وتلاشى ذكرهم.. فالأهداف العظيمة السامية تحتاج إلى الاتحاد والتعاون والعمل المخلص الجماعي وليس الفردي فحسب.  وقد حذر الله تعالى من مغبة الفرقة والتنازع بين أبناء المجتمع الواحد وبين المسلمين عامة؛ لأنها تورث الكوارث والنكبات المتوالية والضعف، قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} (آل عمران:103) وقال تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ  وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } (آل عمران:105)، فقد توعد الله بعذاب شديد من يتفرق ويبتعد عن الدين ويختلف فيه ويأتي بما لم ينزل الله تعالى.  العبادات والاتحاد  وقد جاءت العبادات في ديننا الإسلامي لتشجع على الوحدة والتراص بصفوف واحدة، فشجع الإسلام مثلا صلاة الجماعة وضاعف لها الأجور سبعة وعشرين ضعفا، وشجع على الصلاة في مكة المكرمة والمدينة المنورة من أجل التوحد في أدائها جماعة وبثواب يصل إلى آلاف أضعاف الصلاة الفردية، وذلك تشجيعا لاتحاد المسلمين وتجمعهم؛ لأن في الاتحاد قوة رهيبة وهيبة، فتهابهم الأمم.  وكذلك الحج، فهو عبادة جماعية لا يمكن أن تتم بشكل فردي، فكله تعاون واتحاد وتآلف وتوحد في النيات والأهداف والأركان والأفعال والأقوال والأماكن، ولا يمكن أن يجتمع في صعيد واحد وبوقت مشترك وبذات الأهداف السامية مثل ما يجتمع في المشاعر المقدسة في مكة المكرمة في موسم الحج، فما أعظم هذا الدين الذي يدعو إلى الوقوف صفا واحدا. والمسلمون في كل أنحاء العالم يصومون الشهر ذاته (رمضان) والفترة الزمنية ذاتها من الفجر إلى الغروب، فهل هناك ديانة هدفت إلى التوحد على الهدف والرؤى والعمل المشترك كالدين الإسلامي؟! وحتى الزكاة، التي هي الركن الثالث من أركان الإسلام، تؤخذ من الأغنياء لتعطى لفقراء المسلمين من أجل أن تبقى الوحدة والقوة والمحبة والألفة بين المسلمين، يشعر بعضهم بحاجات بعض، ويعين بعضهم بعضا، فيبقى بنيانهم قويا مرصوصا كما يفترض أن يكون.  والتاريخ الإسلامي يشهد كم كنا أقوياء ودولتنا الإسلامية ممتدة الأطراف حينما كانت تجمعنا الكلمة الواحدة وغايتنا هدفا واحدا مشتركا هو رضا الله تعالى، فامتدت الدولة الأموية ومن بعدها الدولة العباسية وكذا الدولة العثمانية في أطراف الأرض شرقا وغربا وحكمت العالم بالعدل البشري (قدر الإمكان)، وكانت مثالا يحتذى لوحدة الأمم وتقدمها في كل النواحي؛ فعم العلم والخير والفائدة البشرية جمعاء وعلى الدول التي تحكمها، وأبنائها خصوصا.  الدول الأجنبية والاتحاد  واليوم اقتبس الغرب منا تلك الفكرة (التي ضاعت منا أفرادا وجماعات ودولا)، فجاء توحد الولايات المتحدة الأميركية منذ قرنين من الزمان في ولاياتها الخمسين من أجل هدف واحد وهو أن تصبح دولة قوية، فتوحدت في قيادتها وقوانينها وأهدافها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية والعلمية والأخلاقية.. وحينما اتحدت في مواردها العلمية والفكرية والطبيعية والمالية والاقتصادية والبشرية.. أنتجت دولة قوية ومتطورة وذات قوة فاعلة لا يمكن أن يستهان بها.  وفي هذا الزمان أدركت أوروبا أيضا ضرورة الاتحاد، فعملت على إنشاء «الاتحاد الأوروبي»، فتوحدت في قوانينها وسياساتها وعملتها ومواردها وخبراتها، فأعطت امتيازات لمواطنيها نتيجة هذا التوحد، كسهولة السفر والتنقل بين الدول الأوروبية، وسهولة استغلال موارد أي بلد منها في التصنيع والإنتاج والتعليم والاستثمار والتوظيف وتوفير المشاريع التحتية المشتركة كالقطارات والطرق والجامعات، فأصبحت أوروبا وحدة واحدة متحدة قوية فاعلة في العالم، لأنها كل متكامل توفر المشاريع والفرص والاستيراد والتصدير والتبادل التجاري والسياحي والثقافي فيما بين دولها.  الاتحاد الذي نحتاج  وما أحوجنا - نحن العرب - في هذا الزمن إلى الاتحاد، وكيف لا نتحد ونحن لدينا مقومات الاتحاد؟! فتجمعنا لغة واحدة، وديانة واحدة، وإله واحد، وكتاب واحد، وتاريخ واحد، وأهداف وطموحات مشتركة، وعادات وتقاليد متشابهة، ولدينا موارد غنية ومتنوعة، وموارد مالية وطبيعية وخيرات لا تحصى، وعقول مفكرة، وشباب متعلم ومتفتح واع لما يريد، فما دمنا نمتلك العقول والموارد والطموحات ومصادر قوى متعددة فلماذا لا نتحد فيما بيننا؟!  فالاتحاد ليس بالضرورة أن يعني قائدا واحدا أو حاكما واحدا، وإنما مجلس واحد، وأهداف مشتركة، وقوانين واحدة، ورؤى متحدة تضعها الدول فيما بينها، ويحترمها الأفراد ويلتزمون بها (كما هو الاتحاد الأوروبي أو الولايات المتحدة)؛ لأنها تعطي الناس حقوقهم وتوفر لهم الراحة والرفاهية ومتطلبات الحياة الأساسية، وبها يعم الأمن والاستقرار والاحترام للإنسان.  ومن الجميل ما نراه اليوم من توحد دول «مجلس التعاون العربي»، فهو يعطي نموذجا يحتذى للتوحد العربي الذي نحتاج إليه، والكلمة الواحدة والأهداف المشتركة والتبادل التجاري ومشاريع البنى التحتية المشتركة، والمشاريع التعليمية والعلمية، وتبادل الخبرات والمنافع، ونتمنى أن يمتد هذا النموذج ليشمل الكثير من الدول العربية؛ حتى تقوى شوكتها كما هي دول مجلس التعاون اليوم في اتحادها.  ولن تقوم لنا قائمة - نحن العرب- ما لم نعد وحدتنا كما كانت قوية، وقد أدرك أعداؤنا أن تماسكنا ووحدتنا هما سر قوتنا، فعملوا، ومنذ بداية القرن الماضي، على تفريقنا، ورسم الحدود بيننا لإحكام سياسة فرق تسد. وما لم نتدارك أنفسنا ونستعد قوانا ونجمع رأينا وشملنا ونجتمع على رؤى واحدة ونسر وفق أهداف تنموية ووطنية مشتركة يجتمع عليها أبناء البلد الواحد على الأقل تبعد الضعف والوهن عنا، تفرقت كلمتنا وأُغري أعداؤنا بالانقضاض علينا.  فوحدة صفنا وأهدافنا واتفاقنا بالجلوس على طاولة واحدة للفئات المختلفة في المجتمع الواحد؛ لتوحيد الأهداف والطموحات بين أبناء المجتمع الواحد، ستكون - بإذن الله - حلا لكثير من مشكلاتنا كالفرقة والضعف والفقر والبطالة وضعف التعليم والبنى التحتية وضعف الإنتاج والتصنيع والموارد... ففي الاتحاد قوة وفي التفرق ضعف، فما زال المثل قائما وبقوة!** | |